

(المجلس الخامس)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد..

فنواصل القراءة في المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** أوائل كتابه [تُحفة الأخيار] مُبيناً من خلالها بإيراد نصوص كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، وسُنَّة النبي -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، على فضل ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** ودعائه.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

يقول المؤلف **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وفي صحيح مسلم أيضاً عن سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: جاء أعرابي إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: علمني كلاماً أقوله قال: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، فقال: فهو لاء لربي فما لي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي».

الشرح:

أورد الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** هذا الحديث؛ لأن فيه بياناً لفضيلة ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** وفضيلة الدعاء، وأن الذكر والدعاء هو أولى شيءٍ يُعلِّمه الناس، ويُبين لهم.

وأن من أراد أن يتعلم القول الحسن والكلام الحسن والقول السديد؛ فإنه يُعلِّم ذكر الله **جَلَّوَعَلَا** ودعائه؛ فهذا أفضل ما يُعلِّمه الناس.

ولهذا لما جاء هذا الأعرابي إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مسترشداً متعلماً طالباً توجيهه -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، قال: (علِّمني كلاماً أقوله)؛ فعلمه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أذكراً مباركة، ذكراً لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**. فقال الأعرابي وهو يفهم الكلام ويعي القول، قال: (هؤلاء لربي)؛ يعني: هذا ذكرُ الله **جَلَّوَعَلَا**، (فما لي؟)؛ أي شيءٌ لي أنا؟ فعلمه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أدعيةً يدعو بها، قال: (قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي).

واجتمع في هذا الكلام الذي علِّمه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا الأعرابي اجتمع ما لله وما للعبد، ولهذا مجموع ما دلَّ عليه هذا الحديث نصفان؛ نصفٌ للرب وهو الذكر، ونصفٌ للعبد وهو الدعاء مثل ما جاء في الفاتحة، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»، وهذا الذي علمه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو في الحقيقة نصفان: نصفٌ لله **جَلَّوَعَلَا**، وهو الذكر -ذكر الله **جَلَّوَعَلَا**- بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، ونصفٌ للعبد وهو الدعاء، سؤال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** المغفرة، والرحمة، والعافية، والرزق.

ومن فوائد الحديث كما قدِّمت أن هؤلاء الكلمات سواءً منها النصف الأول وهو الذكر، أو النصف الثاني وهو الدعاء خير ما يُعلِّمه الناس، ويُبين لهم، خير ما يُبين للناس من الكلام الحسن، والقول المفيد ذكر الله **جَلَّوَعَلَا** ودعاؤه.

وأيضاً الحديث يدل أن هذه الكلمات الذكر منها والدعاء خير أمرٍ يُشغل به اللسان، ويُحرك به اللسان، ويُحرك به القلب، فأفضل ما صُرِّفت فيه الأوقات وشُغلت به الألسن ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ولهذا قال بعض العلماء: إن اللسان خُلِقَ للكلام، فإن لم يُحرك بالذكر والدعاء والقول المفيد تحرك بالباطل، ولهذا كان من الخير للإنسان أن يبحث عن الكلمات المفيدة والقول السديد النافع الذي يُقربه إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ليُحرك به لسانه، وليشغل به أوقاته.

ولهذا فإن هذا الأعرابي -صاحب هذا السؤال- أعرابي موفق في طلبه. حيث أتى النبي -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- طالباً منه أن يُعلمه شيئاً يقوله، لسانه خُلِقَ للكلام فيريد من النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن يُعلمه شيئاً يقوله ليحرك به لسانه، اللسان متحرك بالكلام، فهو أراد شيئاً يقوله يتعلمه من النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فعلمه هؤلاء الكلمات، علمه أولاً ذكر الله، ثم علمه ثانياً دعاء الله، فخير ما يتحرك به لسان العبد ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ودعاؤه، وهذه فائدة عظيمة جداً نستفيدها من هذا الحديث.

قال له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»؛ بدأه أولاً بكلمة التوحيد التي هي أفضل الكلمات وأجلّها على الإطلاق، وليس في الكلمات مطلقاً كلمةً أجَلُّ منها، وأعظم منها، ويدل لذلك نصوصٌ كثيرة منها: قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وجاء في مُسْنَدُ الإمام أحمد أن أبا ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** سأل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال: أفمن الحسنات لا إله إلا الله؟ فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ».

ف (لا إله إلا الله) هي أحسن الحسنات، وأفضل الكلمات على الإطلاق، وليس في الكلمات كلمةً أفضل منها.

ولهذا بدأ بها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ). كلمة: (لا إله إلا الله)؛ هي كلمة التوحيد، ولا توحيد إلا ما دلت عليه، وقد دلت هذه الكلمة على أن توحيد الله **جَلَّ وَعَلَا** قائمٌ على ركنين اثنين، ألا وهما النفي والإثبات.

النفي العام في أول هذه الكلمة: (لا إله)؛ نفيٌ للعبودية عن كل ما سوى الله، وإثباتٌ خاصٌ في آخرها وهو إثبات العبودية بكل معانيها لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وحده؛ فهي قائمة على ركنين: النفي والإثبات؛ النفي في أولها، والإثبات في آخرها.

ولما كان هذا المقام -مقام التوحيد الذي دلت عليه هذه الكلمة بركنيه النفي والإثبات- أعظم المقامات أكَّده **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما في هذا الحديث وغيره بقوله: (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)؛ فإن قوله في الحديث: (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)؛ تأكيدٌ للإثبات والنفي اللذين قامت عليهما كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله).

فقلوه: (وَحْدَهُ)؛ تأكيدٌ للإثبات، وقوله: (لا شَرِيكَ لَهُ)؛ تأكيدٌ للنفي، (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

(وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا)؛ وهذه الكلمة كلمة تكبيرٍ وتعليقٍ وتعظيمٍ لله **جَلَّ وَعَلَا**، وأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الكبير المتعال الذي لا أكبر منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا قال: (وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا)؛ فيها تكبير الله، وإذا قال المسلم هذه الكلمة بلسانه مع قلبه فإن قلبه ينطوي مع نطقه لهذه الكلمة على اعتقاد أنه لا أكبر من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنه **جَلَّ وَعَلَا** الكبير المتعال، وكل كبيرٍ عند عظمة الله **جَلَّ وَعَلَا** وكبره لا يُساوي شيئًا. ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [سورة الأنعام، من الآية: ١٩].

وقد مرَّ معنا حديث عدي لما قال له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا يُفْرِكُ؟ أَيْفُرُكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْ اللَّهِ؟» فهذه كلمة تكبيرٍ لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، تكبيرٌ لله **جَلَّ وَعَلَا**، وإذا قال المسلم: الله أكبر؛ فإن الذي ينبغي عليه أن ينطوي قلبه على اعتقاد أن الله **عَزَّجَلَّ** أكبر من كل شيء.

ثم يتساقط من قلبه عند تكبير الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ما يقوم في قلبه من تكبيرٍ لأُمُورٍ من مخلوقات الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فيبقى التكبير والتعظيم والإجلال لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على ضوء ما تدل عليه هذه الكلمة المباركة. قال: (وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا). (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا)؛ والحمد هو الشناء على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مع حبه سبحانه وتعظيمه.

الحمد ثناء على الله، والله **عَزَّجَلَّ** يُحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويُحمد **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على نعمه ومننه وعطاياه -جَلَّ وَعَزَّ-، قال: (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا)؛ يُحمد **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه لعظمة أسمائه ولجلاله، ولكماله، ولنعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل، من الآية: ٥٣]، وكما قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل، من الآية: ١٨].

قال: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ تسبيح الله، وتسبيحه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تنزيهه وتقديسه عن النقائص وعن العيوب، وعما لا يليق به، وعن مشابهة المخلوقين؛ فكل ذلك يُنزه الرب **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عنه، ولهذا قال الله في القرآن: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨) **وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ** (١٩) **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿ [سورة الصافات، من الآية: ١٨٠-١٨٢]؛ سَبَّحَ نفسه أي نزهها وقدها عما يصفه به أعداء الرُّسل، وحمد نفسه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لكماله وجلاله وعظمته وكمال أسمائه وصفاته، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه في حق الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** من النقص والعيوب.

قال: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)؛ وهذه الكلمة كما جاء في حديث آخر هي كنزٌ من كنوز الجنة، وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار منها، قال: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وهذه الكلمة المباركة العظيمة التي هي كنزٌ من كنوز الجنة هي كلمة استعانة، كلمة طلب عونٍ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ف (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) هي كلمة تقولها تطلب بها عون الله جَلَّ وَعَلَا.

وأنت عندما تقول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فإن هذا يعني أنه لا تحول من حالٍ إلا حال، من مرضٍ إلى صحة، من ضلالٍ إلى هداية، من فقرٍ إلى غنى، لا تحول من حالٍ إلا حال إلا بمن؟ إلا بالله، ولا قوة للعبد يُمارس بها أعماله وأموره وعباداته وطاعته إلا بالله، فلا استطاعة عند العبد ولا قوة على القيام بأي عملٍ من الأعمال إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا قال: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ يجب يا إخوان أن نعتقد أن هذه الكلمة كلمة استعانة، كلمة نقولها لنطلب بها العون من الله، أرايتم يا إخوان أنه يُشرع لنا عندما يُنادي المُنادي للصلاة قائلاً: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، أن نقول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إذا قال: حيَّ على الصلاة أي هلموا إلى الصلاة، حيَّ على الفلاح، أي هلموا وتعالوا إلى أجر الصلاة وثوابها؟! يُشرع لنا أن نقول في هذا المقام: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لماذا نقولها عندما ننادى للصلاة ونُدعى للصلاة؟ لماذا يُشرع لنا أن نقولها؟ لأننا لا قدرة لنا على الذهاب إلى المسجد وأداء الطاعة، والقيام بالعبادة إلا بالله.

فإذا نُدينا للصلاة نقول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، نطلب بذلك عون الله جَلَّ وَعَلَا.

ولهذا أيضًا كان نبينا ﷺ في كل مرة يخرج فيها من بيته يقول: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، في كل مرة يخرج من بيته يقول هؤلاء الكلمات، في خروجه إلى الصلاة، خروجه لحاجاته الدنيوية، لأي أمرٍ يخرج ﷺ من بيته يستعين بالله قائلاً: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وقد نقلتُ لكم كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية يُنبه به على حال الناس في زمانه، وهو واقعٌ أيضًا موجود في زماننا، ألا وهو أن كثيرًا من الناس يُخطئ في هذه الكلمة فيستعملها في ماذا؟ في الاسترجاع، ولهذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهي كلمة استعانةٍ وليست كلمة استرجاعٍ مع أن كثيرًا من الناس يستعملها في الاسترجاع".

ما معنى يستعملها في الاسترجاع؟ إذا قيل له مثلاً: أصيب فلان بكذا، أو مات فلان، أو نحو ذلك، قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فيأتي بها في غير مقامها.

وهنا مصيبة والمصيبة المشروع عندها أن تسترجع. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ١٥٥-١٥٦]؛ فهي كلمة استعانة.

ولهذا قال أحد العلماء كلمة جميلة في بيان ارتباط كلمة التوحيد: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وارتباط كلمة الاستعانة: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) بفاتحة الكتاب ولا سيما في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية: ٥].

قال أحد العلماء: قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ هذا تحقيق لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ هذا تحقيق لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ تحقيق لـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ لأن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كلمة إخلاص وتوحيد، فتحقيقها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي نعبدك ولا نعبد غيرك.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ما هو تحقيقها؟ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: نستعين بك ولا نستعين بغيرك، العبادة غاية والاستعانة وسيلة، انتبهوا! العبادة غاية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ غاية خلُقنا لأجلها، وأوجدنا لتحقيقها، لكن هذه الغاية لا تُنال ولا سبيل إلى الحصول عليها والقيام بها إلا بماذا؟ إلا بالاستعانة.

ف (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ غاية، و (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ وسيلة لتحقيق تلك الغاية.

فإذا أردت أن تعبد الله مخلصاً له الدين محققاً العبادة له **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على أتم أحوالها، وأبهى صورها، فما الذي عليك؟ استعن بالله، أطلب العون من الله، وأعظم كلمة تطلب بها العون من الله هذه الكلمة التي هي كنز من كنوز الجنة كما أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بقوله: «أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»، وفي بعض الأحاديث: «فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ تَحْتَ الْعَرْشِ»، أكثروا منها، لماذا؟ لماذا يُكثر العبد؟ لأنه مفتقر إلى عون الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للقيام بمصالحه الدينية والدنيوية، مفتقر إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في تحقيق مصالحه الدينية والدنيوية.

ولهذا يُشرع للمسلم أن يُردد هذه الكلمة وأن يُكثر منها، ولا سيما فيما جاء التأكيد عليه في السنة مثل الخروج من المنزل لأي حاجة من حاجاتك الدينية أو الدنيوية، عندما يُنادى إلى الصلاة.

وهنا حقيقة يا إخوان عندنا تفريط في مسألة متابعة المؤذن عندما يؤذن وهذا مما لا يليق، ومما لا ينبغي، عندما يؤذن المؤذن هذا ذكرٌ مبارك، ونداءٌ للصلاة، وإيقاظٌ لقلبك لأداء الصلاة.

ولهذا يُلاحظ ملاحظة أن من يُوفقه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عندما يؤذن المؤذن يتوقف عن أحاديثه الخاصة، ويستمتع للنداء، وفي ضمن استماعه للنداء يجيب المؤذن، وإذا قال المؤذن: حيَّ على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، في الحقيقة أن هذا العمل وأداء هذه السنة من أعظم العون لك للذهاب إلى المسجد ماذا؟ مُبَكَّرًا.

بينما إذا كان الإنسان لا يلتفت إلى الأذان، ولا يهتم به، ولا يُبالي لسماعه، ويؤذن المؤذن وهو يُمارس أحاديثه المعتادة ومزاحه وما إلى ذلك؛ فتجد الحديث يستمر إلى أن تُقام الصلاة، وربما أيضًا يُشرع في الصلاة وهو لتوه يتحرك حتى يذهب إلى الصلاة.

بينما من يقف عن حديثه وعن أموره، ويستمتع للنداء، ويُردد مع المؤذن ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ يُعان بإذن الله **بَارَكَ وَتَعَالَى** على التبكير للصلاة، وهذه فائدة ثمينة جدًا.

وكم يحصل منا من تفريط في سماع أذان المؤذن؟ وكم يحصل منا من تفريط في قول: لا حول ولا قوة إلا بالله في هذا الموضع المبارك عندما يقول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فنسمع ولا نطلب من الله العون، نسمع النداء، وأرشدنا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى طلب العون من الله بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فلا نفعل ذلك.

ولهذا يحصل الكسل، يحصل الفتور، يحصل الخمول، التواني، التأخر، وكل ذلك بسبب التفريط في هذه السنة العظيمة والهدي المبارك الذي دل وأرشد إليه نبينا -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

قال: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)؛ الأعرابي لما سمع هذا التوجيه وهذه الكلمات المباركة قال: (هؤلاء لربي، فما لي؟)؛ أريد أن تتأملوا معي في قول الأعرابي: هؤلاء لربي، هذه الكلمة نشأت عن ماذا؟ لما قال الأعرابي: هؤلاء لربي، فما لي؟ نشأت عن ماذا؟

عن أمرٍ نفتقر إليه نحن كثيرًا في تعاملنا مع الأذكار المأثورة، ألا وهو فهم ما تدل عليه الأذكار، الرجل سمع هؤلاء الكلمات وفهم ما تدل عليه فكلها لمن؟ كلها ذكرٌ لله، قال: هؤلاء لربي، قوله: هؤلاء لربي، هذا ناشئٌ عن الفهم، والفهم من أهم ما يكون في موضوع الأذكار والدعوات، فبناءً على هذا الفهم الذي عنده لهؤلاء الكلمات التي سمعها من النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قال هذه الكلمة، قال: هؤلاء لربي؛ يعني هذا كله ذكرٌ لله، فما لي؟ ما الذي لي أنا؟

فقال له النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»؛ هذه للعبد حاجات وطلبات من خيري الدنيا والآخرة يسألها رب العالمين **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

فقال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»؛ هُنا فيه طلب غفران الذنوب بسترها، والتجاوز عنها، والصفح، والعفو، اغفر لي. «وَارْحَمْنِي»؛ هُنا طلب لرحمة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** التي اختص بها عباده المؤمنين، والتي بها ينالون ثوابه، وينالون رحمته، وينالون جنته، وعظيم موعوده، والنجاة من النار.

«وَاهْدِنِي»؛ أي إلى صلاح ديني ودنياي، وإلى خير أمور الدنيا والآخرة، يطلب الهداية من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، والعبد لا يستقيم له حال ولا يستتم له أمر في دينه ودنياه وآخره إلا بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ولهذا شرع طلب الهداية من الله **جَلَّ وَعَلَا**.

قال: «وَارْزُقْنِي»؛ وهذا أيضًا فيه طلب الرزق من الله **جَلَّ وَعَلَا**، والرزق إذا أُطلق يشمل الرزق الذي هو الطاعة والعبادة أن يرزقه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** حُسن الطاعة وحُسن العبادة، ويشمل أيضًا القوت، والطعام، واللباس، والمسكن، والغذاء إلى غير ذلك من الأمور التي يحتاجها العبد.

فأرشده -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- إلى هذه الدعوة الجامعة العظيمة التي جمعت خيري الدنيا والآخرة.

المتن:

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وقال أيضًا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

الشرح:

ثم أورد -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ- هذا الحديث -حديث أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

قوله: (الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)؛ جاء في القرآن الكريم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف، من الآية: ٤٦]؛ أي التي يبقى ثوابها، ويدوم خيرها، ويستمر أجرها الباقيات، ﴿الصَّالِحَتُ﴾، أي: من الأقوال والأعمال وأنواع القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذه -أي الباقيات الصالحات- ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾؛ أي خير ثوابٍ يرجوه العبد. ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ وخير ما يؤمله العبد ويطمع في نيله، ويسعى في تحصيله؛ فالآية تدل على أن الباقيات الصالحات خيرٌ ما يُطلب، وخيرٌ ما يؤمل، وخيرٌ ما يُسعى في نيله، وخير ما يُنال به ثواب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذا هو المعنى في قوله: ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

هنا في الحديث فسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الباقيات الصالحات بقول: (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ فهل هذا التفسير في هذا الحديث للباقيات الصالحات هو تفسيرٌ لها بما يحصر معناها في هؤلاء الكلمات؟ أم أن هذا تفسيرٌ للباقيات الصالحات بأفضل أفرادها؟

السؤال نفسه بصيغةٍ أخرى: هل الباقيات الصالحات محصورة في هؤلاء الخمس المذكورة في هذا الحديث؟ أم أن الباقيات الصالحات تتناول الطاعات والقربات والأعمال الصالحات التي يتقرب بها العبد إلى الله ويرجو بها ثوابه وعظيم موعوده؟

الذي عليه التحقيق في كلام أهل العلم: أن الباقيات الصالحات تتناول الطاعات والقربات، وكلما عظمت الطاعة وعظمت مكانتها في الشرعية؛ عظم شأنها في هذا المقام.

ولهذا جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُ اللهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ»، وذكر أموراً؛ فإذا الباقيات الصالحات ليست محصورة في هؤلاء الخمس المذكورة في الحديث، وإنما يمكن أن يُقال: إن هذا الحديث ذكر أو فُسر فيه الباقيات الصالحات بأفضل ماذا؟ بأفضل ما يدخل في معناها.

أفضل الباقيات الصالحات هؤلاء: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ فليس الحديث حاصرًا للباقيات الصالحات في هؤلاء الخمس، وإنما الباقيات الصالحات تتناول هؤلاء وغيرها، فيكون النبي ﷺ فسر الباقيات هنا بأمور هي أفضل أو من أفضل الباقيات الصالحات.

ثم هذا الحديث والحديث الذي قبله فيه ضم كلمة: (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ للكلمات الأربع التي هي أفضل الكلمات على الإطلاق، لاحظنا هذا!

وهذا فيه دلالة على عظم شأن هذه الكلمة كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله أنها جاءت في بعض النصوص - كما في هذين الحديثين - مضمومةً إلى الكلمات الأربع التي هي أفضل الكلمات على الإطلاق.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرح:

ثم أورد هذا الحديث - حديث معاذ بن جبل - في فضل الذكر، وأنه أعظم أمرٍ ينجو به العبد من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهذا قال: (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)؛ فهذا فيه دلالة واضحة على فضيلة الذكر وعظم شأنه، وأنه من أعظم الأمور التي ينجو بها العبد من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولعل السر في ذلك أن ذكر الله جَلَّ وَعَلَا هو روح كل العبادات، بل العبادات كلها قائمة على ماذا؟ قائمة على ذكر الله.

ومرَّ معنا قاعدة ومرَّ معنا شاهدها من السنة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه [الوابل الصيب]، ألا وهي أفضل أهل كل طاعة أكثرهم ذكرًا لله فيها، أعظم المصلين أجرًا أكثرهم لله ذكرًا، أعظم الصائمين أجرًا أكثرهم لله ذكرًا، أعظم الحجاج أجرًا أكثرهم لله ذكرًا، وقد مرَّ معنا الحديث في هذا عن النبي - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -.

المتن:

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا

عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

الشرح:

هو لفظ الحديث: «وَحَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ»؛ وفي بعض الألفاظ: «الفضة»، والورق هو الفضة. ثم أورد المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ** هذا الحديث قال: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَحَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، أَوْ الْفِضَّةِ، وَحَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ))؛ هذا الأسلوب تحدثنا عنه غير مرة أسلوب ماذا؟ تشويق.

وهذه طريقة سبق أن أشرت أنها تأتي كثيرا عند النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهذا من كمال نصحه، ومن كمال حرصه، وشدة رغبته -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- في بيان الأمور، والرغبة فيها والحرص عليها، فكثيرا ما يأتي هذا الأسلوب في أحاديثه الشريفة -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

(أَلَا أُخْبِرُكُمْ)؛ ثم ماذا الذي سيخبر به؟ تأمله! (أَلَا أُخْبِرُكُمْ)؛ ما الذي سيخبر به؟

قال: (بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ)؛ هذه واحدة، يعني أفضلها عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، (وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ)؛ يعني أطيها وأرفعها عند ملككم، (وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ)؛ يعني أعلى ما تكون في نيل الدرجات والثواب والمنازل عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

(وَحَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ)؛ يعني خير لكم من إنفاق الذهب والفضة، (وَحَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ)؛ كل هذا التشويق والترغيب وعد هذه الخصال والفضائل القلوب اشتاقت، (قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ)؛ يعني أخبرنا بهذا الأمر الذي هذا هو شأنه وهذه منزلته، ما هو؟

فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ذِكْرُ اللَّهِ»؛ فدل الحديث على أن ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** خير الأعمال، وأزكاها عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وأرفعها في الدرجات والمنازل، وخير من إنفاق الذهب والورق، وخير من أن يلقي الإنسان العدو فيضرب عنقه، أو يضرب العدو عنقه؛ فهذا يدل على فضيلة الذكر وعظيم مكانته عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولا يعني هذا - لا من قريبٍ ولا من بعيد - التقليل من شأن النفقة، ولا أيضاً التقليل من شأن ملاقات العدو، ومقاتلة الأعداء لا يعني ذلك، وإنما الحديث بصدد بيان مكانة الذكر ومنزلة الذكر عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولعل مما يساعد على فهم هذا الأمر أن ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** هو روح كل عبادة، وحظُّ العبد في كل عبادةٍ من الأجر بحسب حظِّه فيها من الذكر، أليس كذلك؟!

حظُّ العبد في كل عبادةٍ من الأجر بحسب حظِّه فيها من الذكر، الجهاد أعظم الناس فيه أجراً أكثرهم فيه ذكراً لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، الصلاة أعظم الناس فيها أجراً أكثرهم فيها ذكراً لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، بل قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ **لِذِكْرِي**﴾ [سورة طه، من الآية: ١٤]، وفي الحديث قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّمَا شُرِعَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمَى الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ **جَلَّ وَعَلَا**»، فالذكر هو روح كل عبادة، روح الصلاة، وروح الصيام، وروح الحج، والجهاد وغير ذلك من الطاعات، بل إن هذه الطاعات إنما شُرعت لإقامة ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

فذكر الله خيرُ الأعمال وأزكاها، وأرفعها في الدرجات، وخيرٌ من النفقة، وخيرٌ من قتال الأعداء، فهو أفضل الطاعات، وأعظم القربات، وهو روح كل عبادةٍ وكل طاعةٍ يتقرب بها العبد إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

المتن:

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

الشرح:

ثم أورد **رَحِمَهُ اللَّهُ** هذا الحديث في فضيلة الذكر، قال: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)؛ وهذا اللفظ مثل ما ذكر الشيخ هو في صحيح مسلم، (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)؛ ولم يذكر في بيتٍ من بيوت الله، وجاء في صحيح مسلم والإمام مسلم أورده قبل هذا الحديث، أيضاً من حديث أبي هريرة: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ»؛ ثم ذكرت هذه الفضيلة. (إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)؛ ولهذا الحديث في بعض رواياته جاء مقيداً بأن يكون هذا الذكر في بيتٍ من بيوت الله، وفي هذه الرواية جاءت مُطلقة، (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ**).

ولهذا بعض العلماء أخذوا من هذا الحديث الذي جاءت الرواية فيه مطلقة: أن الجلوس لذكر الله وتعلم العلم سواء كان في بيت من بيوت الله، أو في أي مكان آخر ينال العبد به هذا الفضل، لكن ما من شك أن كون ذلك في المسجد أكمل وأعظم وأعلى شأنًا وأرفع منزلةً، ولكن يُرجى لمن حصل منه ذلك في غير المسجد أن ينال هذه الفضيلة كما تدل على ذلك هذه الرواية التي جاءت مطلقة غير مقيدة بالمسجد.

قال: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)؛ يذكرون الله في الحديث الآخر قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ»، إذا جمعت بين الروایتين تخرج بفائدة مهمة وعظيمة جدًا كثير من الناس يغفل عنها، تأملوها معي!

الرواية الأولى التي عندنا الآن قال: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)؛ الرواية الثانية -وكلتا الروایتين في مسلم-، الرواية الثانية قال: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ)؛ إذا جمعت بين الروایتين تخرج بنتيجة مهمة جدًا يغفل عنها كثير من الناس، ما هي؟

أن ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا ينحصر في قول: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ بل الجلوس للعلم، ومدارسة القرآن، والسُّنة، والتفقه في الدين، ومعرفة الأحكام هذا كله من ماذا؟ من ذكر الله؛ لأن هنا قال: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)، وهناك قال: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ)؛ ثم ذكر هذه الفضيلة، إذا الجلوس لتلاوة القرآن، ومدارسة آياته، وفهم معانيه، ومعرفة مدلولاته؛ هذا من ذكر الله **جَلَّ وَعَلَا**.

الجلوس للعلم، والتفقه في الدين، ومدارسة الأحاديث المأثورة عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومعرفة الحلال والحرام، كل ذلك من إقامة ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

وفي الحديث قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَقِ الذُّكْرِ»، ما المراد بحلق الذكر؟ أي مجالس العلم، مجالس الحلال والحرام، وبيان الأحكام، وبيان شرع الله **جَلَّ وَعَلَا**؛ هذا هو المراد.

ولهذا لما غفل بعض الناس عن هذا المعنى، ودخلوا في موضوع الذكر دخولًا لم يُشرع؛ أخذوا يقيمون مجالس للأذكار الجماعية، بمعنى أن يقوم عليهم قائم يُردد كلامًا من الذكر فيرددون وراءه بصوت واحد.

يردد كلامًا من ذكر الله فيرددون وراءه بصوت واحد، وإذا أنكر عليهم ذلك استدلوا بهذا الحديث: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ)؛ فيفهمون الحديث على غير بابه، ويفهمونه على غير مراده.

ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المراد بهذا الحديث والمقصود به ليس هذه المجالس المحدثثة التي يفعلها بعض الناس، فيرددون الذكر الجماعي ثم يستشهدون على هذا الفعل بهذا الحديث.

والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنكروا هذه المجالس، كما جاء في سنن الدارمي بسند حسن عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه ذكر له جماعة من الناس مجتمعين في مسجد، وعليهم رجل قائم يقول لهم: سبحوا مائة، فيسبحون، هلّلوا مائة فيهلّلون، كبروا مائة فيكبرون، يردد عليهم ذلك وهم يفعلون ذلك على أمره، فدخل عليهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنكر عليهم.

قال: (أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلمًا، أو فقتم أصحاب محمد علمًا)، اختاروا واحدة من اثنتين، (أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلمًا أو فقتم أصحاب محمد علمًا)، ما الذي اختاره هؤلاء؟

هل يقولون: نحن فقتنا الصحابة في العلم؟ وعلمنا خير من علم الصحابة؟ كل علم لم يصل إلينا من طريق الصحابة ما هو يا إخوان؟ كل علم لم يصل إلينا بإسناد صحيح من طريق الصحابة ما هو؟ هل هو من الدين أو ليس من الدين؟ ليس من الدين.

الدين كله وصل إلينا من طريق من؟ من طريق الصحابة، ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما لم يكن دينًا زمن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلن يكون اليوم دينًا، ولن يكون دينًا إلى أن تقوم الساعة".

الدين هو ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه الصحابة الكرام هذا هو الدين، فدين لم يكن عليه الصحابة ما عرفوه، ما قاموا به، هذا ليس من الدين، هذا من الأمور المحدثثة، ومن البدع المنكرة.

ولهذا قال هذه القولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلمًا أو فقتم أصحاب محمد علمًا".

أسألكم هنا: لماذا قال لهم: "أو فقتم أصحاب محمد علمًا؟" لماذا قال هذه الكلمة؟ تأملوا! لِمَ؟ لأنه ما رأى هذا عند الصحابة، ما رآه، فهو علم ليس موجودًا عند الصحابة، لم يعملوه، لا يوجد عندهم، ولهذا قال: "أو فقتم أصحاب محمد علمًا"؛ لأن هذا العلم الذي عندكم ليس موجودًا عند الصحابة، فأنتم أحد رجلين: إما جئتم ببدعة ظلمًا أو فقتم أصحاب محمد علمًا، فماذا قالوا؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا

الخير، كثير ممن يفعل الأمور المبتدعة يقول: أنا والله ما أردت إلا الخير، لم أرد إلا الخير، فقال لهم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه -: وهل كل من أراد الخير أدركه؟ يعني لا يُدرك الخير إلا من يتبع سنة النبي ﷺ، لا يُدرك الخير إلا من يتبع سنة إمام الخير ﷺ.

أما أن يُتابع الإنسان أهواءه ورغباته، وما تُمليه عليه نفسه، أو ما يهواه، ويدع السنن؛ فهذا ليس من أمارات الخير.

الشاهد: أن المجالس التي تُعقد للذكر الجماعي يُردد قائد ومجموعة وراءه؛ هذا ليس من السنة، والاستدلال بهذا الحديث على مثل هذا الأمر استدلالٌ بالأمر على غير بابه.

نعم لو اجتمعوا وعندهم رجل من أهل العلم، ويُبين لهم الأذكار، ويُوضح لهم الصحيح منها والمأثور، ويبين لهم معانيها ودلالاتها، ويحثهم على العناية بها؛ هذا يُعدُّ مجلس علم ومجلس ذكر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيدخل في الحديث.

أما أن يقوم قائد أمامهم: سبحوا مائة فيسبحون، هللوا مائة فيهللون، كبروا مائة فيكبرون ويكونون أمامه مثل الآلات؛ هذا ليس من السنة، وليس مما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا، وليس مما فعله الرسول الكريم ﷺ، والاستدلال بمثل هذا الحديث ونظائره على مثل هذا العمل هذا نوع من المغالطة والحديث بالحديث عن غير بابه، أو الاستدلال به في غير بابه.

ثم قال هنا: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)؛ هنا عدد - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - أربعة فضائل عظيمة جدًا تُنال بمجالس ماذا؟ مجالس الذكر، أربعة فضائل عظيمة كل واحدة منها من أعظم ما يكون، ينالها العبد ويحظى بها إذا جلس في مجلس ذكرٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ما هي؟

قال: الأولى: (إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ)؛ أي تحفهم ملائكة الرحمة بأجنحتها مثل ما جاء في الحديث الآخر: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»، لاحظ هذه الفضيلة العظيمة! الملائكة تحفُّ طالب العلم من حين ما يخرج من بيته قاصدًا مكان العلم لطلبه، وأيضًا تحفُّه وهو في مجلس العلم، مثل ما جاء هنا: (إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ)؛ فالملائكة تحفه

بأجنتها وهو في طريقه، وتحفه بأجنتها وهو جالس في مجلس العلم يطلب العلم ويتفقه في دين الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ فهذه فضيلة عظيمة.

ونحن يا إخوان نؤمن إيمانًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب أن الملائكة يحفون مجالس العلم بأجنتهم كما أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ لأن هذا الخبر جاءنا عن الصادق المصدوق، وإن لم نرهم بأعيننا، وإن لم نشاهدهم بأبصارنا، نؤمن إيمانًا جازمًا ويقينًا لا شك فيه ولا ريب أنهم يحفون مجالس العلم بأجنتهم؛ لأن الذي أخبر بذلك صادق مصدوق - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -.

فالملائكة يحفون مجالس العلم بأجنتهم، ويحفون طالب العلم بأجنتهم وهو سائرٌ في طريقه لطلب العلم.

أما الزنادقة ينكرون ذلك، يُنكرون ذلك ويجحدون ذلك، وربما بعضهم يهزأ ويسخر من ذلك، مثل ما ذكر النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في بعض كتبه عن أحد الزنادقة: مرةً صنع لنفسه حذاءً فيه مسامير من أسفل، ثم مشى في طريق وكان فيه طلاب علم ماشيين إلى طلب العلم، ويمشي بجنبهم بهذا الحذاء فيه المسامير، فسأل أحد الناس: قال: ماذا تصنع يا فلان؟

فقال: أظأ أجنته الملائكة، يسخر كأنه يقول: ما في ملائكة، كأنه يسخر بهؤلاء طلاب العلم، فيقول: ما قال هذه الكلمة إلا وتسمرت قدماه، شلَّ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قدميه، وهذه عقوبة معجلة، وإلا عقوبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يوم القيامة أشد وأبقى لمن يجحد الأخبار الصادقة التي تأتي عن الصادق المصدوق - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -.

فنحن نؤمن بكل ثقة وبكل طمأنينة أن الملائكة يحفون مجالس العلم بأجنتهم، ويحفون أيضًا طالب العلم في سيرهم لطلب العلم بأجنتهم كما أخبر بذلك نبينا - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -.

قال: (وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ)؛ تغشاهم رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وتنزل عليهم الرحمة، وهذا يدل على أن من أعظم الأمور التي تُطلب بها الرحمة، وتُنال بها الرحمة الجلوس في مجالس العلم وحلق الذكر التي تحيا بها القلوب، ويقوى بها الإيمان، ويزيد بها اليقين، وتعظم بها الصلة بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

قال: (وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ)؛ يعني يحصل لهم في مجالس العلم ومجالس الذكر والخير طمأنينة في القلب، وهذه كثير ما يتحدث عنها الناس، تجد أحدهم يقول: عندي من الهم والقلق والمشاكل الشيء العظيم، يقول: فإذا دخلت المسجد وجلست في حلقة العلم، وفي المجلس أشعر بلذة، وأشعر بسعادة، وأشعر

بطمأنينة، وأشعر بسكون كأن ما عندي أصلاً قلق، وهذا كله من الفضائل المباركة التي ينالها العبد في مجالس العلم.

قوله: (وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ)؛ هذه فضيلة عظيمة ومباركة من الفضائل التي تُنال بمجالس الذكر، يخرج منها العبد ويقوم وقلبه قد اطمأن، ونفسه قد سكنت، وصدره قد انشرح.

بينما مجالس الغفلة مجالس الغيبة، مجالس النسيمة، مجالس الفُحش إلى غير ذلك من المجالس السيئة إذا قام منها العبد يقوم منها بوحشة في قلبه، يقوم منها بقلق، باضطراب، بضيق صدر، بعدم طمأنينة وارتياح، وإذا وازن العبد بين هذه الخيرات العظيمة التي تُنال بمجالس الذكر وتلك الأضرار التي تترتب على مجالس الغفلة؛ فإنه لا ينبغي بدلاً عن هذه المجالس مجالس الذكر مجالس العلم والإيمان، بل سيكون حرصه عليها أشد ما يكون.

وليمتحن نفسه يقارن إذا كان ابتلي في أيام من حياته بمجالس من مجالس الغفلة، ليتأمل كيف كان يقوم منها؟

ثم كيف يقوم من مجالس الإيمان، ومجالس العلم، ومجالس الذكر، والطمأنينة التي تغشى قلبه، وتناولها نفسه، وهذا يستدعي أن العبد يروض نفسه على المواظبة والاستمرار والمداومة والملازمة لمجالس العلم ومجالس الإيمان التي تحيا بها القلوب، وتقوى بها الصلة بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ثم قال: (وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)؛ ذكرهم الله أنظر هذه الفضيلة العظيمة التي ينالها من يجلس مجلس الذكر، يذكره الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ذكر الله له؛ لأنه جلس في مجلس ذكرٍ لله، والله يقول في القرآن: ﴿فَاذْكُرُونِي

أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ١٥٢].

وفي الحديث يقول الله **عَزَّجَلَّ**: «إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** لما ذكر هذا الحديث ذكر عقبه حديث معاوية -حديث معاوية حديث عجيب في هذا الباب ومَرَّ معنا قريباً-، يقول معاوية: كنا حلقي جلوس في المسجد، فخرج علينا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقال: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟» قلنا: جلسنا نذكر الله، وما مَنَّ الله علينا به، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟» يستحلفهم بالله، فقالوا: والله ما جلسنا إلا لهذا، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمْ أَستَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً

لَكُمْ؛ يعني لم أطلب منكم الحلف لأنني أتهمكم، «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ
آنِفًا فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَةً»؛ أي فضيلة هذه يا إخوان؟!

رب العالمين -جَلَّ وَعَزَّ- يذكر عبده في الملأ الأعلى، يُباهي به الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء
اجتمعوا لذكري، اجتمعوا لمدارسة ديني، لتعلم شريعتي، يُباهي بكم ملائكته، فهذه فضيلة عظيمة، كم نحرم
أنفسنا من الخير؟! وكم نفوت على أنفسنا من الفضائل؟! فهذه فضائل عظيمة ومقامات مباركة ينالها العبد في
مجالس العلم، مجالس الحلال والحرام، مجالس الذكر، يحظى بها كما جاء في هذا الحديث العظيم المبارك،
وكما جاء أيضاً في أحاديث أخرى عديدة عن النبي الكريم -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

نسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يوفقنا لكل خيرٍ يحبه
ويرضاه، وأن يُصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يُصلح لنا آخرتنا
التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، وأن يغفر لنا ما قدمنا،
وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا، وما أسرفنا، وما أعلنا وما هو أعلم به منا، ونسأله **جَلَّ وَعَلَا** أن يغفر لنا،
ولو الديننا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.